إسعاف المُعاني
من مختصر المَعاني

لسعد الدين التفتازاني

شرح تلخيص المفتاح في علوم البلاغة

للخطيب القزويني

حاشية

للشيخ محمد صالح بن أحمد الغُرسي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم على سيد الأنبياء والمرسلين، سيدنا وشفيع ذنوبنا محمد المصطفى المختار، وعلى آله الأطهار، وصحابته البررة الأخيار، والتابعين لهم إلى يوم القرار.

أما بعد؛ فإن شيخنا المحقق الكبير والمربي العظيم، الشيخ محمد العربكندي -رحمه الله تعالى وأكرم مثواه- كان معجبا بحواشي المحقق عبد الحكيم السيالكوتي التي علقها على مختلف كتب محققي العلماء، ولاسيما حاشيته التي علقها على الشرح المطول لتلخيص المفتاح للتفتازاني وعلى حاشية السيد الشريف الجرجاني عليه، وكان في أثناء تدريسه للمختصر يطلب منا قراءة ما يشعُر بالحاجة إليه من هذه الحاشية عليه، وكان كثيرا ما يتمنى أن لو كان جرد هو أو أحد العلماء من هذه الحاشية حاشيةً للشرح المختصر للتلخيص للتفتازاني، لكن أمنيته هذه فيما نعلم لم تتحقق في الماضي القريب، وحال دون تحققها الحوائل والعوائق، ونحمد الله تعالى على أن يسر لنا تحقيق أمنيته هذه، أو تحقيق ما هو قريب منها، بتجريد قسم كبير مما يتعلق بالشرح المختصر من هذه الحاشية، وتعليقها عليه، وإضافة قسم كبير من الكتب المتعلقة بالشرح المختصر وبالتلخيص، ولا سيما من تقريرات المحقق الأنبابي على المختصر، ومن تقريرات المحقق عبد الرحمن الشربيني على المطول وعلى حاشية عبد الحكيم السيالكوتي، ثم إضافة ما فتح الله تعالى به علينا مما يتعلق بهذا الشرح، أو المتن، أو ببعض الحواشي.

ومما ينبغي أن ننبه عليه أننا في تعليقاتنا هذه قد أكثرنا فيها أولا من التجريد من حاشية السيالكوتي ثم من تقريرات الأنبابي وتقريرات الشربيني، وقد يكون ما جردناه من تلك الحواشي بنص العبارة، وقد يكون بتلخيص وتغيير فيها، وأما ما نقلناه من حاشيتي الدسوقي والبناني وغيرهما فهو قليل.

وقد حاولنا في تعليقاتنا هذه أن لا نطول الكلام على المسائل البلاغية، وأن نكتفي بما تمس إليه حاجة الدارس والمدرِّس لهذا الكتاب مما يتعلق بالشرح المذكور، من حل غامضه، وفك مغلقه، وبيان النكات والدقائق المحتوي عليها، حتى تكون هذه التعليقات **(إسعافا للمُعاني من مختصر المَعاني)**.

وأما خَطَر الشرح المذكور وقيمته في موضوعه، وفي العلم الذي أُلِّف فيه، وفي متانة عبارته ودقتها مع سلاستها، وكونها من السهل الممتنع، وإمامة مؤلفه في العلوم العقلية والعربية، فغنيّ عن الشرح والبيان.

ونود في مقدمتنا هذه أن نتعرض لأمرين:

الأول: **الأطوارُ التي مرت بها علوم البلاغة، وأعلامُها، ومؤلفاتُها المهمة.**

الثاني: **ترجمة مصنف التلخيص الخطيب القزويني، وشارحِه السعد التفتازاني رحمة الله تعالى عليهما.**

والله تعالى يتولى هدانا، وتسديد خطانا، ويوفقنا إلى النية الطيبة والعمل الصالح وحسن الختام، ويكرمنا بالحسنى وزيادة، وهو يتولى الصالحين.

محمد صالح بن أحمد الغرسي

الأطوار التي مرت بها علوم البلاغة، وأعلامُها، ومؤلفاتُها المهمة:

1 – علوم البلاغة قبل التقنين والتدوين

مرت علوم البلاغة العربية بعدة أطوار إلى أن وصلت إلينا في حللها التي تأسِر النفوس وتأخذ بمجامع القلوب.

وإن لم يكن يسيرا تلمُّس البذور الأولى لهذه العلوم في أول نشأتها، إلا أنه من المتفق عليه عند أهل العلم والاختصاص أن بدايتها تمثلت في مواقف نقدية للشعراء والخطباء في العصر الجاهلي، ثم جاءت الصدمة الكبرى حين أخذت الآيات الكريمة تتنزل على صدر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فعَقدت ألسنةَ الفصحاء، وحيرت عقولهم؛ فهذا الوليد بن المغيرة[1]، حين سماعه لها- وكان على جاهليته- يصف كلام رب العالمين، فيقول:

(فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله[2]، وإنه ليعلو وما يعلى، وإنه ليحطم ما تحته).

---

[1] الوليد بن المغيرة (95 ق هـ- 1هـ). هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، من قضاة العرب في الجاهلية ومن زعماء قريش، وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية ، وضرب ابنه هشاما على شربها (الزركلي: أعلام، 8/ 122)

[2] تاريخ الإسلام – الذهبي – السيرة النبوية ص155.ط دار الكتاب العربي 1407 هـ / 1987 م. مغدق: كثير الخير والعطاء.

ثم ازدهرت الخطابة في العصر الأموي ازدهارا عظيما بجميع ألوانها من سياسية وحفلية ووعظية. وفي كل لون من هذه الألوان يشتهر غير خطيب، وازدهرت معها الملاحظات البيانية والنقود البلاغية، وقد عمل في هذا الازدهار عوامل كثيرة: السياسة، والدين، والحفلات، وتحضُّرُ العربِ، واستقرارهم في المدن والأمصار، فأخذوا يتجادلون في أمورهم السياسية والعَقَدية والحضارية، وقيامُ الأسواق الأدبية على غرار سوق عكاظ في الجاهلية، والمنافسةُ بين الشعراء والأدباء.

لكن طبيعة البلاغة والنقد في هذا العصر لا تعدو مجرد ملاحظات انطباعية غير مقننة ولامدونة، لم يقصد منها أن تكون علما بقدر ما قصد فيها إلى التعبير عن الحس والذوق البلاغي المستكن لدى أصحابه.

ثم اتسعت الملاحظات البلاغية في العصر العباسي اتساعا يمثِّل طفرة كبيرة كانت استجابة لعدة عوامل أثرت في جميع مجالات الحياة في العصر العباسي، وليس في مجال الأدب وحده.

وقد نشأ عن هذه العوامل أن شاركت في نشأة علوم البلاغة وتدوين الملاحظات البيانية عدة طوائف: طائفة الكتاب، والشعراء، واللغويون، والمتكلمون، والمفسرون[3].

---

[3] وانظر تفصيل ذلك في مقدمة الدكتور عبد الحميد الهنداوي للمصباح تأليف بدرالدين بن مالك.

واستمر الأمر على تلك الحال إلى أن تبلورت تلك المعارف والملاحظات البلاغية وتوضحت معالمها في القرن الثالث الهجري.

ولا يختلف الباحثون في أن الباعث الأول على الاهتمام بعلوم البلاغة وتدوينها في ذلك الوقت بالذات كان القرآن الكريم، كما دفع القرآن المسلمين إلى الاهتمام بتفسيره، واستيعاب آياته، وفهم مقاصده، وإدراك إعجازه، والوقوف على أسراره، والاستدلال على صحة العقيدة المقررة فيه، والذود عنها، والرد على خصومها من أصحاب العقائد الزائفة والفلسفات الفاسدة. ويستدل على ذلك من وفرة ما نقع عليه في كتب الأوائل من اهتمام زائد بهذه النواحي وغيرها من الذكر الحكيم.

2- من أوائل من كتب في علوم البلاغة

كان من أوائل من اهتم بعلوم البلاغة وفنونها رجلان عملاقان:

الأول: أبو عبيدة مَعمَر بن المثنى (ت 208 هـ)[4] الذي وضع كتابا أسماه (مجاز القرآن)، يقصد به تفسيره، تعرض فيه لتفسير جملة كبيرة من الآيات القرآنية . وفي أثناءِ تفسيره للآيات الكريمة تحدث عما فيها من استعارة، وتشبيه، وكناية، وتقديم وتأخير، وحذف، وتكرار، وغير ذلك.

فكتاب (مجاز القرآن) - وهو من المحاولات الأولى في مجال تفسير القرآن- معدود من المؤلفات الأولى التي حوت بعض الآراء والأفكار البلاغية ذات القيمة.

والثاني: الجاحظ (ت 255هـ)[5] فإنه يعد من أوائل من التفت إلى فنون الكلام، فكان له أكبر الأثر في تاريخ البلاغة العربية، ومع أنه لم يخلف لنا كتابا خاصا بموضوعها، إلا أن آراءه ومواقفه النقدية نجدها مبثوثة في كثير مما تركه لنا من آثار أدبية وفكرية، وخاصة في كتابه (البيان والتبيين)، فكان أول من أشار إلى فن

---

[4] معمر بن المثنى (110- 209 هـ).هو أبو عبيدة معمر بن المثنى، تيميّ بالولاء، بصري، من أئمة العلم باللغة والأدب. مولده ووفاته في البصرة (الزركلي: أعلام، 7/ 272).

[5] الجاحظ (163- 255هـ): هو عمرو بن بحر الكناني بالولاء، الشهير بالجاحظ لجحوظ عينيه: كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. مولده ووفاته في البصرة. له تصانيف عديدة، منها: الحيوان، والبيان والتبيين (الزركلي: أعلام، 5/ 74).

البديع وفصاحة المنطق، وسلامة الألفاظ والتراكيب، ومطابقة مقتضى الحال، ووجوب مراعاة أقوال البلغاء في أساليب المجاز والبيان.

وكتاب (البيان والتبيين) للجاحظ، هو أهم ما ألف في هذا الطور من كتب تتصل ببلاغات العرب نثرا وشعرا، ويتعرض لتحديد البلاغة وما حولها من آراء كانت ذائعة في عصر الجاحظ، وفيه كثير من بحوث البلاغة ، فهو يعرِّف الاستعارة، ويتكلم على السجع، ويشير إلى التفصيل، والتقسيم، والاستطراد، والكناية، والأمثال، والاحتراس، والقلب، والأسلوب الحكيم.

والجاحظ يرى البلاغة في النظم لا في المعاني. وهو ما ذهب إليه ابن خلدون.

والجاحظ يُشيد بالإيجاز، كما يدعو في البيان كثيرا إلى ترك الوحشي والسوقي، ويحث على الإفهام والوضوح، وعلى ترك التعمق والتذهيب في صناعة الكلام، إلى غير ذلك من شتى ما دونه في كتابه (البيان والتبيين).

ولا يضير الجاحظ أن كانت دراساته موجزة مفرقة -كما يقول أبو هلال العسكري-، فهي على كل حال ذات أثر كبير في نشأة علوم البيان، وهي التي أوحت إلى كثير أن يعدّوا الجاحظ الواضع الأول لعلم البيان. ومن الخطأ التهوين بأثر الجاحظ في علوم البيان كما ذهب إليه بعض الباحثين المحدّثين.

3- التدوين الخاص بعلوم البلاغة قبل عبد القاهر

وقد بدأ التدوين في علم البلاغة على يد الخليفة العباسي عبدالله بن المعتز (ت269هـ) الذي ألف كتابه القيم (البديع)، وقد تحدث فيه عن محاسن الشعر والكلام، وفنون البديع، وجعل منها الاستعارة، والتشبيه، والكناية، والتعريض، كما اشتمل (البديع) على مباحث من علم المعاني كالالتفات والاعتراض وجملة أخرى من مباحث علم البلاغة، وكان ذلك البيان مقرونا بعرضه لشواهد رائعة من آيات كريمة، وأحاديث شريفة، وأبيات مختارة إظهارا لعناصر الجمال فيها، فكان بحق نواة تمَّت من خلاله شجرة البلاغة العربية فيما بعد.

وبعد قليل ظهر (نقد النثر)، و(نقد الشعر) لقدامة بن جعفر (ت337هـ).

وكتاب (الصناعتين) لأبي هلال العسكري (ت 395 هـ)،

وكتاب (الموازنة بين أبي تمام والبحتري) للآمدي (ت371هـ)،

و (الوساطة بين المتنبي وخصومه)، لعلي بن عبدالعزيز الجرجاني (ت392هـ)،

وإعجاز القرآن للباقلاني (ت403هـ)،

و(سر الفصاحة) لابن سنان الخفاجي (ت466هـ)،

و(العمدة) لابن رشيق القيرواني (ت473هـ)، وهما أكثر الكتب، اتصالا بالبلاغة.

4- تقعيد علوم البلاغة على يد الإمام عبدالقاهر

ثم جاء بعد ذلك أبو بكر عبد القاهر الجرجاني شيخ البلاغة العربية (المتوفى عام471 أو 474هـ). فألف في البلاغة كتابين جليلين هما:

1- أسرار البلاغة: وفيه دراسات واسعة تتناول بحوث علم البيان من تشبيه، ومجاز، واستعارة، وفيه شرح للسرقات الشعرية، وبعض ألوان البديع.

2- دلائل الإعجاز: وفيه بحوث كثيرة هي أصول علم المعاني . كما أنه تحدث فيه عن الكناية، وعن التمثيل، والمجاز، والاستعارة، والسرقات أيضا. فجاء عمله فتحا جديدا وتأسيسا مجيدا.

وقد عد غير واحد من العلماء الأعلام الإمام عبد القاهر واضع فن البلاغة ومؤسسه. منهم السيد يحيى بن حمزة الحسيني (ت746هـ) صاحب كتاب (الطراز في علوم حقائق الإعجاز)، فقد قال في فاتحة كتابه، - وهو من أحسن ما كتب في البلاغة بعد عبد القاهر- ما نصه: (وأول من أسس من هذا الفن قواعده، وأوضح براهينه، وأظهر فوائده، ورتب أفانينه الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني...).

نعم قد كَتب قبل عبد القاهر في مسائل من البلاغة كثيرٌ ممن تقدمه ممن ذكرناهم وممن لم نذكرهم، لكنهم لم يبلغوا فيما فعلوه أن جعلوه فنا مرفوع القواعد مفتح الأبواب كما فعل عبد القاهر من بعدهم، فمن أجل ذلك عدوه واضع علم البلاغة كما صرح به بعض علمائها.

وأخص صفات عبد القاهر التي ساقته لهذا العمل الجليل تذوقه الصائب لأساليب اللغة العربية وما احتوت عليه من النكات والمعتبرات، وحسه المرهف الفريد في هذا المجال.

5- علوم البلاغة بعد عبد القاهر حتى الخطيب القزويني

وبعد عصر الجرجاني بحث الزمخشري (ت 528هـ) في تفسيره،

والرازي (ت606هـ) في كتابه [نهاية الإعجاز]،

وابن الأثير (ت637هـ) صاحب [المثل السائر]،

وبدر الدين بن مالك (ت686هـ) صاحب [المصباح]،

والتنوخي (ت 748هـ) صاحب [الأقصى القريب]، وكثير من العلماء.

ومن أهم هؤلاء العلماء في هذا الطور أبو يعقوب السكاكي (ت 626هـ) الذي ألف كتابه [مفتاح العلوم]، وجعله أقساما، وخص البلاغة بالقسم الثالث منه، وقسمها إلى ثلاثة أقسام: المعاني، والبيان، والبديع. وبذلك تميزت علوم البلاغة ومباحث كل علم منها بالتفصيل، فكان السكاكي أول من فصل هذه العلوم الثلاثة، وجعل كل واحد منها على حدة، بعد أن جمع شتاتها، وضم ما تفرق من قواعدها، ونظمها ورتبها. فكان السكاكي هو المنظم والمرتب لقواعد هذه العلوم وأبوابها، كما أن الإمام عبد القاهر هو المحرر والمهذب لها.

والجمع والتنظيم يغلبان على السكاكي، بينما كان الذوق والطبع يغلب على الإمام عبد القاهر.

وبذلك تنتهي مراحل التأليف والابتكار في بحوث البلاغة، وتم تدوينها تدوينا كاملا.

قال السيد رشيد رضا في مقدمته لكتاب (أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني: إن ابن خلدون الذي تصدى دون القوم للإلمام بتاريخ الفنون أهمل ذكر عبد القاهر، وزعم أن الذي هذب الفن بعد أولئك الذين كتبوا في مسائل متفرقة منه هو السكاكي، وما كان السكاكي إلا عيالا على عبد القاهر تلا تلوه، وأخذ عنه، مع المخالفة في شيء من الترتيب والتبويب، ولكنه لم يسلم من التكلف في بعض عباراته، والتعقيد في منازعه. فإذا جاز لنا أن نقول: إنه فاق لتأخره بالترتيب المعلوم، وبما حرره من الحدود والرسوم، فإننا لا ننسى من فضل المتقدم سلامة عبارته وصفاء ديباجته، وغوصه على أسرار الكلام، ووضع دررها في أحسن نظام.

ثم جاء الخطيب القزويني (ت 739) فألف في البلاغة كتابيه: [تلخيص المفتاح] و[الإيضاح] وقد ألف الإيضاح ليكون كالشرح لتلخيص المفتاح وجمع فيه كثيرا من آراء عبد القاهر والسكاكي في شيء من التنظيم والشرح.

وعلى متن التلخيص كثرت الشروح والحواشي والتقارير وفي مقدمتها [عروس الأفراح] لبهاء الدين السبكي، و[المطول]، و[المختصر] للسعد التفتازاني، و[الأطول] لعصام الدين الإسفراييني، وحاشية السيد الشريف الجرجاني على المطول، وحاشية المحقق الكبير عبدالحكيم السيالكوتي على المطول وحاشية السيد.

6- أهم ما كتب في البلاغة في القرنين السابع والثامن غير ما تقدم

وهذه أهم كتب البلاغة في القرنين السابع والثامن غير ما تقدم:

[قوانين البلاغة] لعبد اللطيف البغدادي (ت 629هـ).

[التبيان] لابن الزملكاني (ت 651هـ).

[المعيار] للزنجاني (ت 654 هـ).

[بديع القرآن] لابن أبي الإصبع (ت 654 هـ).

[الفوائد الغياثية] للعضد الإيجي (ت 756هـ)، و[شرحها] لتلميذه الكرماني (ت 786 هـ).

[التبيان] لشرف الدين الطيبي (ت 743 هـ).

[الطراز] ليحيى بن حمزة العلوي (ت 749 هـ).

[عروس الأفراح] للبهاء السبكي (ت 773 هـ).

وأخيرا ينبغي أن لا يفوتنا أن ننوه بما لسعد الدين التفتازاني (ت 792هـ) في شرحيه لتلخيص المفتاح وشرحه للمفتاح نفسه، وما للسيد الشريف الجرجاني (ت 816هـ) في شرحه للمفتاح وفي تعليقاته على المطول، وما للمحقق الكبير عبد الحكيم السيالكوتي (ت 1067هـ) في حواشيه على المطول وعلى تعليقات السيد الشريف عليه من التحقيقات العلمية القوية، وبيان النكات البلاغية الدقيقة. وبهؤلاء الأعلام الثلاثة قد ختم التحقيق في فن البلاغة.

ترجمة الخطيب القزويني

صاحب تلخيص المفتاح[6]

اسمه ونسبه:

هو الشَّيْخ الإِمَام الْعَلامَة قَاضِي الْقُضَاة جلال الدَّين أَبُو عبد الله مُحَمَّد بن الْعَلامَة سعد الدَّين أبي القاسم عبد الرَّحْمَن بن الشيخ إِمَام الدَّين أبي حفص عمر بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن عبد الْكَرِيم بن الْحسن بن عَليّ بن إِبْرَاهِيم بن عَليّ بن أَحْمد بن دلف بن أبي دلف الْعجلِيّ الْقزْوِينِي ثمَّ الدِّمَشْقِي الشافعي الأشعري.

نسبته إلى قزوين، مدينة كبيرة مشهورة في بلاد فارس فتحها البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه سنة 24 هـ.

يصل نسبه إلى أبي دُلَف العِجْلي، القاسم بن إدريس بن عيسى بن معقل العجلي، أحد أشهر القواد العرب عند المأمون والمعتصم ابني هارون الرشيد، وكان جوادا شجاعا مقدَّما ذا وقائع مشهورة، أخذ عنه الأدباء والفضلاء، وكان أحد المشتغلين بصنعة الكتابة والشعر والغناء في زمانه، قال عنه الأصفهاني: (ومحله في الشجاعة، وعلو المحل عند الخلفاء، وعظم الغناء في المشاهد، وحسن

---

[6] **مصادر الترجمة:** الدرر الكامنة، والعقد المذهب، وشذرات الذهب، وبغية الوعاة، ومعجم المؤلفين، والتلخيص، وبغية الإيضاح، ومقدمة الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي على الإيضاح بتحقيقه.

الأدب، وجودة الشعر ليس لكبير أحد من نظرائه)، توفي في بغداد سنة 226هـ، وله عدد من المؤلفات الشعرية والنثرية.

مولده ونشأته:

ولد جلال الدين القزويني بالموصل على في شعبان سنة 666هـ، من أسرة علمية كبيرة، وسكن ببلاد الروم مع والده وأخيه، وتفقه بوالده، وولي بِتلك البلاد قضاءَ ناحيةٍ ولَهُ نحو من عشرين سنة.

مناصبه العلمية:

قَدِم الجلال القزويني دمشقَ مع أخيه الأكبر الشيخ إمام الدين أيام التتر وهما فاضلان كما عبَّر ابن كثير بعد 690هـ، فدرَّس إمام الدين في تربة أم صالح، وأعاد جلال الدين بالمدرسة البادرائية واشتغل بِدِمَشْق وتفقَّه وناظَرَ وَتخرَّج به الْأَصْحَاب، وأخذ في تلك الأيام عن شمس الدين الإيكي، وسمع من عز الدين أحمد بن إبراهيم الفاروثي، وطائفة من العلماء، وحدث وتفقه واشتغل في الفنون، وأتقن الأصول والعربية والمعاني والبيان.

وفي اليوم الثاني والعشرين من شعبان من سنة 693هـ درَّس بالمدرسة المسرورية، وحضر الدرسَ الأول أخوه القاضي إمام الدين، وقاضي القضاة شهاب الدين الخوِيي، والشيخ تقي الدين بن تيمية وكان درسا حافلا.

وفي أوائل شوال من سنة 694هـ رُسِم له بتدريس المدرسة الظاهرية البرَّانية عوضا عن أخيه الأكبر قاضي القضاة إمام الدين القزويني الذي وُلِّي تدريس المدرسة الأمينية.

وناب فِي قَضَاء دمشق لِأَخِيهِ قاضي القضاة إِمَام الدّين سنة 696هـ، ثم في ثاني شعبان سنة 699هـ، تولَّى تدريس المدرسة الأمينية خلفا لأخيه إمام الدين.

صفاته ومكانته:

كان رحمه الله فهِما ذكيا مفَوَّها، ذا ذوق سليم حسن الإيراد والمحاضرة، حلو العبارة فصيحا جميل الهيئة، كبير الذقن، جوادا، أديبا، حسن الخط.

ولّي قضاء "نيكسار" من ضواحي "توقاد" في وسط الأناضول من بلاد الروم، وبعد أن أتقن العلوم في الشام وتصدَّر واشتهر ذكره، ناب عن أخيه الأكبر إمام الدين قاضي قضاة الشام إلى أن مات أخوه سنة 699هـ، ثم ولّي خطابة جامع دمشق فأقام بها مدة طويلة، ثم طلبه الملك الناصر إلى القاهرة في سنة 724هـ، وكان قدومه على البريد يوم الجمعة، فاتفق أنه اجتمع بالناصر ساعة وصوله، فأمر به أن يخطب بجامع القلعة، فخطب مرتجلا مع ما هو عليه من التعب وأثر السفر، فأعجب به السلطان وشكره، وسأله عن حاله وكم عليه من الدين، فذكر أن عليه ثلاثين ألفا، فأمر بوفائها عنه، فشافهه بقضاء دمشق فباشرها والخطابة جميعا إلى أن ولاه قضاء الديار المصرية في سنة، 727هـ فعظم أمره جدا، وصرف مال الأوقاف على الفقراء والمحتاجين، وحج مع السلطان فأعانه بمال، وأحسن إلى المصريين والشاميين، وكان لهم ذخرا وملجأ، وكان يرغب الناس في الاشتغال بأصول الفقه وفي المعاني والبيان.

قال الذهبي: عظُم شأنه لما ولي قضاء الديار المصرية، وبلغ من العز ما لا يوصف بحيث لا ترد له شفاعة، وكان فصيحا حلو العبارة، مليح الصورة، سمحا حليما، كثير التحمل، وسيرته تحتمل كراريس.

وذكر اليوسفي في سيرة الملك الناصر محمد أن القاضي كان محسنا إلى الناس كثير التصدق والمكارم والبر لأرباب البيوت، فقال: إنه لم يوجد لأحد من القضاة منزلة عند سلطان تركي نظير منزلة جلال الدين، وكان الناصر يحتمل ما ينقل إليه من سيرة ولده حتى كان يقول لوالي البلد: اكبس فلانا، ثم يرسل إليه يقول: لا تفعل، نبقى في حياء من والده... فرحمة الله تعالى عليهم ورضوانه.

مصنفاته:

أشهر تصانيفه (**تلخيص المفتاح**) لخص فيه القسم الثالث في البلاغة من السفر القيم الموسوم بمفتاح العلوم لأبي يعقوب السكاكي، فاختصر ما فيه من التطويل، وأوضح ما فيه من التعقيد، وجرد ما فيه من الحشو، وأضاف ما يحتاج إليه من الأمثلة والشواهد، لبيان ما جُمع فيه من القواعد، وهذب مبانيه، وحقق معانيه، ورتبه ترتيبا أقرب تناولا، فجعل فوائده على طرف الثمام، وأضاف إليه فوائد عوائد من كتب السابقين، ولطائف مخترعة لم يشر إليها غيره من المصنفين.

وكثرت الشروح والحواشي والتقريرات على **التلخيص** حتى عُدَّت بالعشرات بل المئات. ونظمه المحقق السيوطي وسماه: (**عقود الجمان في علمي المعاني والبيان**).

ثم ألف الخطيب كتابه (**الإيضاح**) ليكون كالشرح لتلخيص المفتاح ، فأوضح مواضعه المشكلة، وفصَّل معانيه المجملة، وضمنه ما خلا عنه مَتنه من كلام السكاكي في المفتاح، وما خلا عنه المفتاح من كلام الشيخ الجليل عبد القاهر الجرجاني في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، ومن كلام غيرهما، وأضاف إليه من بنات فكره، ما لم يجده لغيره، فجعله جامعا لأشتات علم البلاغة، حتى جاء كما قال الشيخ عبد المتعال الصعيدي: "وسطا بين إيجاز التلخيص، وإسهاب عبد القاهر، وكان بهذا هو الكتاب الممتاز على غيره من كتب البلاغة القديمة".

وله أيضا اختصار لديوان الأرجاني الشاعر سماه: (**السور المرجاني من شعر الأرجاني**)، وكان يعظمه ويقول إنه لم يكن للعجم نظيره.

قال السيوطي: ولا أعلمه نظم شيئا مع قوة باعه في الأدب.

وفاته:

لم يزل على حاله في القيام بأعمال قضاء مصر إلى أن أعيد إلى قضاء الشام بسبب أحوال أولاده، وفرح به أهل الشام، فأقام قليلا وتعلل وأصابه فالج، فمات منه في سنة 739هـ عن 73 سنة، قال السيوطي: مات في منتصف جمادى الأولى عام 739هـ. فأسف الناس عليه كثيرا وشيعه عالَم عظيم، وللشعراء فيه مدائح كثيرة ومراثٍ عديدة.

ترجمة الإمام سعد الدين التفتازاني

صاحب مختصر المعاني شرح تلخيص المفتاح[7]

اسمه ونسبه:

هو الإمام العلامة، فريد عصره، ووحيد دهره، صاحب التصانيف الشهيرة، والتآليف النافعة الكثيرة، مسعود بن عمر القاضي بن عبد الله الغازي الفارسي الهرَوي الخراساني التفتازاني، سعد الملة والدين، الفقيه المتكلم النَّظار الأصولي النحوي البلاغي المنطقي.

مولده ونشأته:

وُلِدَ - رحمه الله – بتفتازان، قرية بنواحي نَسا من مدن خراسان، في صفر سنة 722هـ، وقيل سنة 712هـ، في أسرة عريقة في العلم حيث كان أبوه عمر

---

[7] **مصادر الترجمة:** الدرر الكامنة (4/ 350)، و إنباء الغمر (2/ 377- 379)، وعجائب المقدور (467)، والدليل الشافي على المنهل الصافي (2/ 734)، وبغية الوعاة (391)، ومفتاح السعادة (1/ 190-192)، و شذرات الذهب (6/ 319-322)، و الفوائد البهية (128، 129)، و البدر الطالع (2/ 303-305)، و هدية العارفين (2/ 429، 430)، ومعجم المؤلفين (12/ 228)، ومعجم المطبوعات (1/ 635- 638)، و مقدمة د. عبد الكريم الزبيدي لكتاب "إرشاد الهادي" للتفتازاني. ص (9- 44)، و رسالة دكتوراه من جامعة أم القرى بعنوان "التفتازاني وموقفه من الإلهيات" الفصل الثاني.

الملقب بفخر الدين عالمًا وقاضيًا، وكذا كان جده عبد الله برهان الدين، ووالد جده شمس الدين من العلماء.

ولم نجد -فيما اطلعنا عليه- من تكلم بالتفصيل عن نشأته العلمية ممن ترجم له، لكن الظاهر أنه بدأ التحصيل في سن مبكرة، يدل على هذا ما ذكره كثير من مترجميه من أنه كان يوم تأليف شرح تصريف العزي ابن ستة عشر عاما، وقد قال هو في مقدمة هذا الشرح: (... فإنه أول ما أفرغته في قالب الترتيب والترصيف، مختصِرا في هذا المختصَر ما قرأته في علم التصريف)، فشرح شاب في هذا العمر لكتابٍ كتصريف العزي شرحا علميا مسبوك العبارة متين الأسلوب دقيق المعنى جدلي المسلك ، راقٍ إلى مقام الكتب المدرسية، ينتفع به صغار طلبة العلم وكبارهم، دليل ساطع على رعاية علمية مبكرة، ونشأة طيبة مباركة.

مكانته العلمية:

كان السعد - رحمه الله – علامة جامعا للعلوم، إمامًا من أئمة التحقيق والتدقيق الذين قلَّ وجودهم وعزَّ نظيرهم، فهو واحد عصره، وغرة علماء دهره، بلغ من المنزلة في التحقيق والتدقيق فيما جمع من العلوم غاية ليس وراءها زيادة لمستزيد، مع أن الجامعية والتحقيق قلما يجتمعان في رجل واحد.

قال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله-: (وكان قد انتهت إليه معرفة علوم البلاغة والمعقول بالمشرق، بل بسائر الأمصار، لم يكن له نظير في معرفة هذه العلوم).